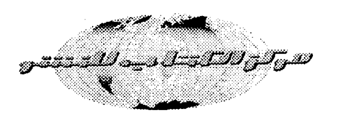
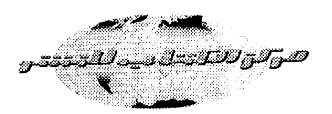
عصمة الأنبياء
بين
الإسلام واليهودية والنصرانية

د. خالد السيوطي

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



الطبعة الأولى
٢٠٠٦م



مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعتبر ظاهرة النبوة في تاريخ الأديان من الظواهر الجديرة بالدراسة، فالنبي ليس شخصا عاديا فهو وإن كان بشرا فإنه أيضا متبع بل ممثل لمنهج إلهي، وفوق ذلك هو في الإسلام قدوة، وأسوة حسنة جديرة بالتأسي، وبأن يكون مثلا أعلى لمن أراد خيري الدنيا والدين.

هذه المعاني الجليلة التي يفترض أن يتصف بها الأنبياء قد تحققت بشكل واضح وكامل في القرآن الكريم، فهل كانت صورة الأنبياء على نفس المستوى في التوراة مثلا؟

هذا ما سنحاول أن تجيب عنه هذه الدراسة: ومن ثم سنستعمل المنهج الوصفي المقارن، ونتخير بعضا من الأنبياء لبيان صفاتهم عند المسلمين من جهة، واليهود والنصارى من جهة أخرى مع الأخذ في الاعتبار أن في الإسلام أنبياء ثبتت نبوتهم بينما هم ليسوا أنبياء لدى أهل الكتاب مثل سيدنا داوود عليه السلام، الذي هو ملك ونبي عند المسلمين بينما هو ملك فقط في نظر أهل الكتاب، وفي المقابل رجل يدعى حبقوق ينظر إليه الكتابيون على أنه نبي بينما لم تثبت نبوته في الإسلام.

ولذلك حاولت هذه الدراسة أن تحدد مفهوم النبوة في الإسلام ومفهومها في اليهودية والنصرانية خاصة أن الله عز وجل أخبر نبيه محمدﷺ بأنه لم يذكر له كل الأنبياء والرسل السابقين ، فقال تعالى: ﴿**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من**

قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾[١].

وبعد تحديد مفهوم النبوة سنتعرض لما يترتب على هذا المفهوم والمتمثل في صفات الأنبياء، كما وردت في القرآن وما يسمى بالكتاب المقدس؛ حيث سنرى في هذا الكتاب صورة عجيبة للأنبياء حتى إن امرأة تدعى مريم النبية، وهي نبية كما يظهر من وصفها ورغم أنها نبية فلا مانع من أن تحمل الدف متقدمة جميع نساء بني إسرائيل وهي ترقص مع من يتبعها من الإسرائيليات في الرقص وحمل الدفوف فهي نبية وراقصة[٢].

(١) سورة غافر، آية: ٧٨.

(٢) ورد في سفر الخروج فصل ١٥ عدد ٢٠: «فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها، وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص».

المبحث الأول

مفهوم النبوة في الأديان الثلاثة

كان من الطبيعي أن نتعرف على مفهوم النبوة في الإسلام وكل من اليهود والنصرانية؛ حيث من خلال تحديدنا لمفهوم النبوة يمكننا التعرف على صفات الأنبياء في الديانات الثلاث، وسنبدأ بتحديد هذا المفهوم في الإسلام، ثم في اليهودية والنصرانية.

مفهوم النبوة في الإسلام:

احتلت النبوة في العقيدة الإسلامية مكانة متميزة فهي من أصول الإسلام الستة المعروفة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره.

وقبل أن نحدد مفهوم النبوة لدى علماء المسلمين فإنه يجدر بنا أن نتعرف على معنى النبوة في اللسان العربي.

النبوة لغة:

النبوة لفظة مشتقة من نبأ وأنبأ أي أخبر، فالنبي هو المخبر عن الله عز وجل، ويجمع على أنبياء، وقيل إن النبي اشتق من النبوة والنباوة بمعنى الارتفاع والظهور، فالنبوة هي الأرض المرتفعة[1]؛ ولذلك قيل إن المتنبي الشاعر العربي المعروف كان قد سمي بذلك الاسم ليس لادعائه النبوة، كما هو شائع بين الناس، وإنما لارتفاع شأنه وظهوره بين الشعراء فهو كالنبوة وهي الأرض الظاهرة المرتفعة.

---

(١) لسان العرب: ابن منظور - دار المعارف - دون تاريخ - (٦) مادة: نبأ - ص٤٣١٥.

النبوة في الاصطلاح:

إذا أردنا أن نتعرف على مفهوم النبوة اصطلاحا فسنجد أنها في نظر ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) هي: «بعثة قوم قد خصهم الله بالحكمة والفضيلة والعصمة لا لعلة إلا أنه شاء ذلك، فعلمهم الله تعالى العلم بدون معلم، ولا تنقل في مراتبه، ولا طلب له، ومن هذا الباب ما يراه أحدنا في الرؤيا فيخرج صحيحًا، وما هو من باب تقدم المعرفة، فإذا قد أثبتنا أن النبوة قبل مجيء الأنبياء عليهم السلام واقعة في حد الإمكان، فلنقل الآن بحول الله تعالى، وقوته على وجوبها إذا وقعت ولابد»[(١)].

ويتضح من ذلك أن النبوة هي هبة من الله تعالى، فالله تعالى علَّم أنبياءه دون معلم، ومن ثم فهي ليست اكتسابًا يمكن أن يصل إليها الإنسان بالرياضات الخلقية، ومجاهدة النفس.

وأصل دين المسلمين هو الإيمان بكل نبي أرسله الله، وبكل كتاب أنزله الله، فمن كفر بنبي واحد، أو كتاب واحد، فهو عندهم كافر، كما أن الذي يسب نبيا من الأنبياء فبالإضافة إلى كفره يباح دمه[(٢)]، فالإساءة لأي نبي هي كالإساءة إلى كل الأنبياء، فأهل الإسلام لا يفرقون بين الأنبياء والمرسلين مصداقا لقوله تعالى: ﴿**لا نفرق بين أحد من رسله**﴾[(٣)].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم - تحقيق د. محمد إبراهيم نصر - د.عبد الرحمن عميرة - دار الجيل - بيروت - دون تاريخ - ج١ ص١٤٠.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم - مكتبة المدني - دون تاريخ - ج١ ص٣٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٥ .

ولكي نقترب أكثر من مفهوم النبوة في الإسلام فإنه يجدر بنا أن نتعرف على أهم الصفات الواجب توافرها في الأنبياء؛ ليقوموا بشئون الدين على أكمل وجه.

صفات الأنبياء:

لكي تتجلى للنبي النبوة، فلابد أن يتصف بصفتي التحلي والتخلي، ليحدث له هذا التجلي، فيتحلى بالصفات الحسنة، ويبتعد عن الصفات السيئة، ويمكن أن نجمل هذه الصفات على النحو التالي:

- عصمة الأنبياء عن كل ما يشوه سيرة الإنسان[1]، وكل من مات منهم مات وليس في ذمته ذنب يستحق عليه العقوبة[2].

- الاعتقاد بعلو فطر الأنبياء، وصحة عقولهم، وصدق أقوالهم، وأمانتهم في التبليغ عن ربهم.

- تنزيه الأنبياء عن الخيانة[3]، فنفى عنهم القرآن هذه الرزيلة نفيا مطلقا **﴿وما كان لنبي أن يغل﴾**[4].

وأكدت السنة تنزيه الأنبياء عن هذه الصفة، ولو كانت بالإشارة، فورد عن

---

(1) رسالة التوحيد: الإمام محمد عبده - مكتبة القاهرة - ص ١٧ - سنة ١٣٧٩ هـ - سنة ١٩٦٠م - ص٨٥.

(2) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨هـ) مطبعة المدني - دون تاريخ - ج١ ص٢٢٠.

(3) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، الشافعي (ت ٧٧٤هـ) - دار العلم - بيروت ط٢ - دون تاريخ - ج٢ ص٣٦٢.

(4) سورة آل عمران، آية: ١٦١.

النبي ﷺ قوله: «**لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين**»[١].

- تكمل أرواحهم بمدد من الجلال الإلهي فلا تسطو عليهم النفوس الإنسانية أي سطوة روحانية[٢].

وفيما عدا هذه الصفات فإنهم بشر يعتريهم ما يعتري سائر البشر كالأكل للإحساس بالجوع، والشرب لري الظمأ، والنوم طلبًا للراحة، كما يصيبهم السهو والنسيان[٣]، مما لا علاقة له بتبليغ الأحكام، وقد يمرضون[٤]، وتمتد إليهم أيدي الظالمين، لدرجة أنهم قد يقتلون[٥] إلا إذا جاء نص بعصمتهم من ذلك، مثلما بشر الله سيدنا محمدًا ﷺ بعصمته من أن تناله يد الأعداء، فقال: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾[٦]. وكما عصم الله المسيح من أعدائه، ولم يسلطهم عليه، وطهره منهم[٧].

وقد يحدث الخلاف بين الأنبياء مثل باقي البشر، ولكن دون قصد منهم لمعصية أو ظلم، وإنما خلافهم من باب الاجتهاد الذي إذا أصاب صاحبه فله أجران وإذا أخطأ فله أجر؛ لأن هدفهما كان واحدًا وهو طلب الحق؛ ولذلك إذا اختلف نبيان، وظهر لهما حكم الله انصاعا مباشرة لهذا الحكم بغض النظر عن

---

(١) رواه أبو داود في سننه-دار المعرفة- بيروت ط٢- سنة ١٩٨٩م- ج٣- حديث رقم٢٦٨٣-ص٥٩.

(٢) رسالة التوحيد ص٨٥.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم - دار الجيل - بيروت - م١ ج٤ ص١٢٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٦٢.

(٥) رسالة التوحيد ص٨٥.

(٦) سورة المائدة، آية: ٦٧ .

(٧) الجواب الصحيح - ج٢ - ص٦٩.

مواقفهما السابقة، أو تأييد هذا الحكم لنبي دون آخر، كما حدث بين داوود وسليمان ﴿ **وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا** ﴾[١].

ونلاحظ أن الذي عرف حكم الله هو سيدنا سليمان، ومع ذلك فإن داوود وصف بالحكمة والعلم كسليمان تماما بل استمرت الآيات في بيان ما حباه الله لداوود من تسخير الجبال والطير، وتسبيحهم معه إلى آخر الآيات.

وبعد تعرفنا على النبوة لغة واصطلاحا ثم تعرضنا لأهم صفات الأنبياء فإنه يحسن بنا أن نتعرف على الأشياء التي ثبتت لها العصمة عند المسلمين، ومن خلال ذلك نتعرف على نتعرف على الموقف الإسلامي من عصمة الأنبياء، وحدود هذه العصمة.

مفهوم العصمة:

اختلف العلماء في تحديد معنى العصمة التي اتصف بها الأنبياء، فذهب بعضهم إلى أن العصمة هي فضل من الله لا اختيار للعبد فيه، وذلك إما:

- بخلق الأنبياء بطبيعة ملائكية تخالف طبيعة باقي البشر، بحيث لا ينفرون عن الطاعة، ولا يميلون إلى المعصية كطبع الملائكة.

- أو يجعل الله طبيعتهم كطبيعة البشر، ولكن يصرف همتهم، عن السيئات، ويجذبهم إلى الطاعات جبرًا[٢].

---

(١) سورة الأنبياء آية ٧٨، ٧٩.

(٢) شرح كتاب الفقه الأكبر: مع ملاحظة أن الفقه الأكبر منسوب للإمام أبي حنيفة النعمان: والشرح للإمام على القاري (ت ١٠١٤هـ) - تحقيق على محمد دندل - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م - ص١٠٥.

كما ذهب بعض العلماء إلى أن العصمة هي أيضا فضل، ولطف من الله، ولكن على وجه يبقى قدرةً لاختيار الأنبياء على الإقدام على الطاعة، والامتناع عن المعصية[١].

ونحاول أن نقترب أكثر من تحديد معنى العصمة سواء في اللغة أو الاصطلاح.

العصمة في اللغة:

تدور كلمة العصمة حول معاني الحفظ والمنع والحماية والوقاية، فالعاصم هو المانع الحامي، فحين نقول عصم الله عبده أي: حفظه ووقاه مما يؤذيه. ويقول الإنسان عن نفسه اعتصمت بالله أي: امتنعت بلطفه من المعصية، واستعصم الرجل أي امتنع وتأبى؛ مثلما فعل يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز حين راودته عن نفسه (فاستعصم) أي تأبى عليها ولم يجبها إلى ما طلبت[٢].

فالعصمة هي: «منحة إلهية تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليها»[٣].

وهكذا نرى أنه كما أن النبوة منحة وهبة إلهية فإن العصمة كذلك منحة إلهية.

العصمة في الاصطلاح:

والعصمة في الاصطلاح هي: «ملكة إلهية تمنع من فعل المعصية، والميل إليها مع القدرة عليها، وتمنع من خطأ الرسول، أو نسيانه فيما يبلغه عن ربه، ولذلك يجب

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) لسان العرب (٤) مادة: عَصَمَ - ص٢٩٧٦.

(٣) المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م - مادة: عَصَمَ - ص٤٢٢.

الإيمان بكل ما يخبر الرسل به عن الله تعالى، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به»[١].

والمقصود بالملكة هو هيئة راسخة في النفس تمنع صاحبها من التلبس بمنهي عنه سواء أكان ظاهرًا أم باطنًا[٢]. والعصمة بهذا المعنى ليست لأحد غير الأنبياء، وشرطها الامتناع عن المعصية مع القدرة على فعلها.

وبعد تحديدنا لمفهوم العصمة، ومعرفتنا أنها منحة وملكة إلهية فإن هذا يدفعنا للتعرف على من نال هذه المنحة في الإسلام، ومن تحققت له هذه الملكة.

أمور في الدين ثبتت لها العصمة:

يوجد عدة أمور دينية ثبت أنها جاءت صحيحة ومكتملة، فلا يداخلها خطأ، أو نقص ويمكن إجمالها فيما يلي:

- عصمة الوحي الذي ينزل على الأنبياء في التبليغ عن الله تعالى.

- العصمة في تبليغ الإسلام، فالرسول ﷺ معصوم في تبليغ الشريعة الإسلامية إلى أهل الأرض دون أي نقص، فقال تعالى: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾**[٣] وكون القرآن نفسه معصوما كلامه، وهو حق وصدق فإن صحته وإعجازه دليل على عصمة الرسول ﷺ[٤].

---

(١) الموسوعة الإسلامية العامة - مادة: العصمة: د. عبد الرحمن العدوي - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م - ص٩٧٤.

(٢) كتاب يانع الأزهار مختصر طوالع الأنوار في علم الكلام: الشيخ سليمان العبد - مطبعة هندية بالموسكي بمصر - ١٣٢٥هـ - ص٦٥.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧ .

(٤) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة: القرافي أحمد بن إدريس (ت٦٨٤هـ) - تحقيق: بكر زكي عوض - مكتبة وهبه - ط٢ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - ص١٥٠.

وكذلك كان الأنبياء معصومين في تبليغ الديانة إلى أقوامهم، فلا يتصور أن يقولوا على الله إلا الحق، ولا يداخل كلامهم الباطل لا عن عمد ولا عن خطأ[١].

– العصمة في نقل الأخبار الشرعية التي رواها الصحابة عن الرسول ﷺ، ولو حدث من أحدهم شيء توهمه فلابد من بيان يبين لنا ما كان قد توهمه؛ لأن الله تعالى قد تكفل بحفظ دينه وإكماله[٢]، فقال تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[٣].

– والملائكة منزهون عن الخطأ لأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم، وهم لأوامر الله مطيعون، ولا يوصفون بأنهم ذكور أو إناث.

ولكن الفرق بين عصمة الملائكة، وعصمة الأنبياء أن الملائكة ليست لهم قدرة على القيام بالمعصية أصلا، أو عندهم شهوات قد تدفعهم للخطأ. أما الأنبياء فهم لا يرتكبون المعاصي، ولكن مع القدرة عليها، ومن ثم فإن الأنبياء أفضل من الملائكة عند جمهور المسلمين.

أما في النصرانية فإن الملائكة يفعلون المعاصي، ويغضبون الرب فيعاقبهم، حتى إن «الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم، وسلمهم محروسين للقضاء»[٤].

– أجمعت الأمة الإسلامية على عصمة الأنبياء عن الكفر، وعن تعمد فعل

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ج١ – ص٣١٧.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم – دار الجيل – بيروت – م١ – ج١ ص١٢٣.

(٣) سورة الحجر، آية: ٩ .

(٤) رسالة بطرس الثانية – فصل ٢ عدد ٤.

الكبيرة قبل الوحي وبعده، وإن كان الشيعة قد جوزوا عليهم إظهار الكفر "تقية" رغم أنهم منعوا صدور الصغيرة والكبيرة عن الأنبياء قبل بعثتهم وبعدها[١].

وينبغي أن نفهم هذا الموقف الشيعي في إطار فهمنا للفكر الشيعي؛ حيث إن التقية مذهب شيعي يحمد فاعله، لدرجة أن الشيعة ذكروا عن جعفر الصادق (ت١٤٨هـ) أنه قال: «التقية ديني ودين آبائي، ومن لا تقية له فلا دين له»[٢].

وعلى ذكر الشيعة فإن الإسلام يرفض رفضا قاطعا القول بعصمة الإمام التي قال بها الشيعة باستثناء الزيدية منهم[٣]. أو عصمة أي أحد من البشر غير الأنبياء حتى الصحابة رضوان الله عليهم قد يخطئون بل إنهم مع كونهم أبر الأمة قلوباً، وأعمقها علما أثر عنهم كثرة اتهامهم لآرائهم[٤]. فها هو عمر بن الخطاب حين كتب كاتب كان بين يديه: «هذا ما أرى الله عمر، فقال: لا امحه واكتب: هذا ما رأى عمر»[٥]. وذلك لكي ينفي عن آرائه الشخصية أي قداسة.

ورغم أن عمر كان سيد المحدثين الملهمين فإنه كان أحيانا يقول الشيء فيرده عليه من هو دونه، وعندما يتبين له خطأه فإنه كان يرجع إلى رأي من هو دونه[٦]

(١) شرح الفقه الأكبر – ص١٠٤.

(٢) طائفة الإسماعيلية تاريخها – نظمها – عقائدها: د. محمد كامل حسين – مكتبة النهضة المصرية – ط١ – ١٩٥٩م ص١٣.

(٣) مجموع رسائل الإمام الشهيد المهدي أحمد بن الحسين ت ٦٥٦ هـ – تحقيق عبد الكريم أحمد جدبان – مكتبة التراث الإسلامي – اليمن – صعده – ط ١ – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م – ص١٣٣.

(٤) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ابن قيم الجوزية – المكتبة القيمة – ١٩٨٣م – ص٩٩.

(٥) المصدر السابق ص٩٩.

(٦) المصدر السابق ص٩٨.

دون تردد طالما أنه الصواب، كما أثر عن عبد الله بن مسعود أنه حينما عرضت عليه مسئلة فإنه قال: «أقول فيها برأيي فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله»[(١)].

وفيما أرى أن إضافة الشيعة العصمة لأئمتهم لا تمثل عندنا نحن أهل السنة أي مشكلة في علاقتنا بالشيعة وفي حوارنا الهادف إلى التقريب معهم، لأنها في نظرنا أصبحت من العقائد النظرية فإمامهم المعصوم غائب، وهم ينتظرونه، وأهل السنة يرون أنه لن يعود.

- وكذلك ثبتت عصمة الأمة الإسلامية من أن تجتمع على الخطأ أو الضلال، ولهذا أصبح الإجماع هو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي بعد الكتاب والسنة؛ لقول النبي ﷺ: «**إن أمتي لن تجتمع على ضلالة**»[(٢)]، وفي رواية أخرى: «**إن الله لا يجمع أمتي**» - أو قال: «**أمة محمد ﷺ على ضلالة**»[(٣)].

(١) المصدر السابق ص٩٩.

(٢) سند الحديث: حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا معان بن رفاعة السلامي، حدثني أبو خلف الأعمى، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أمتي لن تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم**». سنن ابن ماجة-كتاب الفتن- باب السود الأعظم (ج٢-حديث رقم ٣٩٥٠) ط دار الفكر-ص١٣٠٣.

(٣) سند الحديث: حدثنا أبو بكر بن نافع البصري - حدثني المعتمر بن سليمان، حدثنا سليمان المدني عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله لا يجمع أمتي - أو قال: أمة محمد ﷺ على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار**». قال أبو عيسى هذا حديث غريب من هذا الوجه. سنن الترمذي - كتاب الفتن - باب ما جاء في لزوم الجماعة - ج٤ رقم ٢١٦٧ - ط دار إحياء التراث العربي - ص٤٤٦.

ولا ريب أن تعرضنا لمفهوم النبوة في الإسلام ينقلنا لتحديد مفهوم النبوة في كل من اليهودية والنصرانية.

مفهوم النبوة في اليهودية والنصرانية:

النبوة في اللغة العبرية تعني الحدس بالأحداث التي سوف تقع في المستقبل تماما كالذي يتنبأ بالأحوال الجوية، فهو متنبئ جوي لأنه يتكهن بها سيحدث من تغيرات في الطقس[١]، ثم تطورت دلالة الكلمة لتعني الإخبار بإرادة الرب، فالنبي هو الذي يوحي إليه الرب بإرادته ليبلغها للناس[٢]؛ ومن ثم فمعنى نبي هو المتحدث باسم الرب[٣].

وجاءت لفظة النبي في اليهودية والنصرانية أكثر شيوعًا، فقد وردت في كل من العهدين القديم والجديد مئات المرات، وورد لها مرادفات أخرى مثل الرائي، لأنه كان يرى أحداث المستقبل وينبئ بها، ففي سفر اشعيا «فقال أمصيا لعاموس أيها الرائي اذهب اهرب إلى أرض يهوذا، وكان هناك خبزا وهناك تنبأ... فأجاب عاموس، وقال لامصيا: لست أنا نبي ولا أنا ابن نبي أنا راع وجاني خبز»[٤]. ويلاحظ أن لفظة الرائي كانت أقدم في الاستعمال من النبي، فورد في سفر أشعيا «النبي اليوم كان يدعى سابقًا الرائي»[٥]. ولفظة الملك تطلق على النبي كما يذكر

---

(١) اليهودية: د. محمد بحر عبد المجيد - ط مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة - سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية - العدد ٢٠ - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م - ص٢٥.

(٢) اليهودية: د. محمد بحر عبد المجيد: ص٢٥.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) سفر أشعيا - فصل ٧ - عدد ١٢، ١٤.

(٥) سفر أشعيا - فصل ٩ - عدد ٩ .

موسى بن ميمون (٦٠٣هـ)(١) مستدلا بنصوص جاء فيها «وصعد ملك الرب من الجلجال إلى موضع الباكين»(٢)، «وبعث ملكا وأخرجنا من مصر»(٣).

وتستخدم لفظة الحالم في سياق الحديث عن النبوة الكاذبة، أو النبي الكذاب «إذا قام في وسطك نبي أو حالم . . . فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحالم»(٤).

وتكون علامة النبي الكذاب ألا يتحقق ولا يحدث ما تكلم به باسم الرب «فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان يُكلم به النبي فلا تخف منه»(٥).

وفي العهد الجديد تقابلنا لفظة الروح كأحد مرادفات النبي، فجاء في رسالة يوحنا الأولى «أيها الأحبة لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل من الله؛ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم»(٦).

ويطلق النصارى على أناس رفعوهم إلى درجة النبوة لفظة الرسول؛ مثل بولس اليهودي، الذي قالوا عنه بولس الرسول، وأصبح له رسائل في العهد الجديد تعرف باسمه.

---

(١) دلالة الحائرين: موسى بن ميمون – عارضة بأصوله العربية والعبرية – د. حسين آتاي – مكتبة الثقافة الدينية – دون تاريخ – ص٢٨٦، ٢٨٧.

(٢) المصدر السابق ص٤٢٥.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) سفر التثنية – فصل ١٣ – عدد ١ : ٣ .

(٥) سفر التثنية – فصل ١٨ – عدد ٢٢.

(٦) رسالة يوحنا الأولى – فصل ٤ – عدد ١ .

أما تعريف النبي فنرى بعض علماء اليهود، ومنهم (لاند) يرى أن النبي هو الذي يدخل في معاملة أو صلة مع الله[١]، وهذا يتمشى مع ما في التوراة من أن النبي هو الذي تكلم باسم الرب ، ويوضح هوبفلد **Hupfeld** مفهوم النبوة بشكل أكثر تحديدًا، فالنبي هو المتكلم بوحي الله[٢]. وإن كان يؤخذ في الاعتبار أن كثيرا من النصارى عبر القرون لا يفترضون أن المدون في الأناجيل جاء من مصدر خارجي ممثل في ملك أو ملائكة يملون كلام الله على كتاب هذه الأناجيل، وليس أدل على ذلك من اعتراف علماء النصارى أنفسهم منذ القدم أن مرقس ولوقا لم يكن معهما الروح القدس أثناء كتابتهما لإنجيليهما[٣].

ومع ذلك يلقي الله في روع هؤلاء الكتاب أن ما يكتبونه هو كلام الله حقًا، فالأنبياء الوارد ذكرهم في التوراة كانوا يقولون دون تردد «هكذا يقول الرب...».

ومن ثم فإنهم كانوا يعتقدون أن ما ينطقون به هو بمعنى من المعاني كلمات الله حقا[٤].

---

(١) النبي الخاتم: هل وجد؟ ومن يكون؟: د. جمال الحسيني أبو فرحة - مركز الحضارة العربية - ط١ - ٢٠٠٢م - ص٢١.

(٢) النبي الخاتم: هل وجد؟ ومن يكون؟: د. جمال الحسيني أبو فرحة- ص٢١.

(٣) الرد على كتاب نهج السبيل في تخجيل محرفي الإنجيل: الصفي أبو الفضائل بن فخر الدولة أبو الفضل المعروف بابن العسال، ط ١٤٦٣ للشهداء على نفقة مرقس جرجس - صاحب المكتبة الجديدة بكلوت بك - مطبعة عين شمس .

(٤) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر: مونتجمري وات - ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠١م - ص٣٦.

أما في اليهودية فالنبي لا يأتيه الوحي إلا بوساطة الملك مثل «ونادى ملك الرب»(١).

وأيضا: «فقال لها ملك الرب»(٢) حتى إن موسى عليه السلام كان افتتاح نبوته بملك «فتجلى له ملك الرب في لهيب من نار»(٣).

ومن التعريفات الواسعة أو الشاملة للنبوة في اليهودية ما ذكره عالم يدعى ألبريت الذي ذكر أن «النبي رجل أحس بأنه مدعو من الله لأداء مهمة خاصة تكون فيها إرادته خاضعة تمامًا لإرادة الله التي يتعرف عليها من خلال الوحي، أو الإلهام المباشر النبي إذن زعيم روحي ملهم، ومكلف تكليفا مباشرا من يهوه لتحذير قومه من الوقوع في الخطيئة، وبالدعوة إلى الإصلاح، وبعث الدين الصحيح، والأخلاق السليمة»(٤).

ويعبر النبي عند نبوته بأربع صور:

الصورة الأولى: يصرح النبي أن الملك خاطبه في حلم أو في مرأى(٥).

الصورة الثانية: يذكر النبي خطاب الملك له، ولكن دون أن يصرح أن ذلك الخطاب كان في حلم أو في مرأى؛ لأنه قد علم أنه لا وحي إلا بأحد هذين الوجهين «الرؤية أو الحلم».

---

(١) دلالة الحائرين ص٦٥٨.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) ظاهرة النبوة ص٢٧.

(٥) دلالة الحائرين ص٤١٩.

الصورة الثالثة: ينسب النبي القول لله، ولا يذكر الملك، لكنه يصرح أن ذلك الكلام كان في الرؤية أو الحلم.

الصورة الرابعة: يذكر النبي أن الله كلمه أو أمره: افعل، أو اصنع.

أو قال كذا ولا يذكر أن ذلك كان عن طريق ملك أو في حلم اعتمادًا على قاعدتين أساسيتين هما:

- لا نبوة ولا وحي إلا في حلم.
- ولا نبوة ولا وحي إلا من ملك[1].

والشروط الواجب توفرها عند اليهود في النبي هو أن يتهيأ منذ صغره بالتعليم والتربية، وأن يرتاض بالرياضات والكمالات الخلقية، وعلى هذا تصبح النبوة اكتسابًا[2]؛ مثل رأى الفلاسفة تمامًا، ولا يخفي اليهود هذا الأثر الفلسفي في اختيار النبي، وإن كان ليس كل من تهيأت له الكمالات الأخلاقية يصبح نبيًا، فيقول ابن ميمون: «رأى شريعتنا، وقاعدة مذهبنا، هو مثل الرأي الفلسفي بعينه إلا في شيء واحد، وذلك أنا نعتقد أن الذي يصلح للنبوة المتهيئ لها قد لا يتنبأ، وذلك بمشيئة إلهية»[3].

وهكذا يتضح لنا أن مفهوم النبوة في اليهودية جاء واسع الحدود عديم

---

(١) المصدر السابق ص٤٢٠

(٢) يذكر موسى بن ميمون أن بعض من يصفهم بعوام اليهود يذهبون إلى أن الله يختار من يشاء نبيا سواء أكان ذلك الشخص عالما أم جاهلا صغير السن أم كبير، ولكن يشترطون فيه شيئا من الخير وصلاحية والأخلاق - انظر دلالة الحائرين ص٣٨٩.

(٣) المصدر السابق ص٣٩٠.

الانضباط؛ لدرجة أن الأنبياء في بني إسرائيل كانوا يظهرون أحيانا على شكل جماعات مثل «بنو الأنبياء»، «والأنبياء الكذبة»[١] ووصل هذا الاتساع ذروته في اعتبار كل إسرائيل جماعة من الأنبياء في مقابل عدم الاعتراف بنبي خارج جماعة إسرائيل، وأحيانا يرفضون نبوة من هو عنصر في جماعة بني إسرائيل كعيسى عليه السلام[٢].

ويتضح الخلاف في مفهوم النبوة بين الإسلام واليهودية في نظرة الإسلام إلى أنبياء مثل داود وسليمان اللذين جمعا بين النبوة والملك بينما عدهم اليهود ملوك فقط[٣]، وكذلك اعتقاد المسلمين في نبوة إبراهيم وإسحاق، ويعقوب، ويوسف عليهم السلام بينما هؤلاء الأنبياء يمثلون في التاريخ الديني اليهودي مجموعة من البطارقة، أو الآباء مما يعني أنهم كانوا رؤساء وشيوخ قبائل، ومن ثم كانت وظيفتهم سياسية اجتماعية أكثر منها دينية[٤]. على الرغم من القصص التوراتي الذي يجعلهم تلقوا أنواعا من الوحي الإلهي كالأحلام والرؤى إلى غير ذلك[٥]، كما أن التراث اليهودي نادرا ما كان يعبر عن هذه المجموعة بالأنبياء - وإن كان التأكيد

---

(١) ظاهرة النبوة الإسرائيلية - طبيعتها - تاريخها - الموقف الإسلامي منها : د. محمد خليفة حسن - ط مركز الدراسات الشرقية - ١٤١٢هـ - ١٩٩١م - ص٧.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) ظاهرة النبوة الإسرائيلية - ص٧.

(٤) فشيوخ القبائل هم المتحكمون في تحركات العشائر - والمنظمون لعلاقاتها والذين يحكمون في الخلافات بين طوائفها أو أفرادها ويتزعمون العشائر في حروبها مع أعدائها... إلخ.
انظر: ظاهرة النبوة الإسرائيلية (مرجع سابق) ص١٨، ٣٠٦.

(٥) ظاهرة النبوة ص٧.

التوراتي على نبوة موسى كان واضحًا - مما يعني أنهم مرتبطون ببني إسرائيل بالنسب لا بالنبوة، وبالعرق لا بالوحي.

وإذا كان الإسلام لا يفاضل بين الأنبياء، ولا يفرق بين أحد من الرسل، فإن اليهود جعلوا الأنبياء درجات ويتفاضلون فيما بينهم[١]، فنبوة موسى هي نبوة متميزة تجعله أفضل من غيره من الأنبياء بدليل ما جاء في التوراة «ولم يقم من بعد نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجها لوجه»[٢]، كما أن لموسى درجة خاصة لم يصلها غيره من الأنبياء، وهي أنه مع الناس بظاهره، حيث يحدثهم ويشتغل بضروريات جسمه، وفي نفس الوقت هو بين يدي الله بقلبه وعقله، وعن تميز هذه الدرجة ورد «ثم يتقدم موسى وحده إلى الرب وهم لا يتقدمون»[٣] كما قيل عن موسى «وأقام هناك عند الرب»[٤] وكذلك قيل له «فقف هاهنا عندي»[٥].

ولم يكتف اليهود بالتفرقة بين أنبياء الله ورسله بل أكثر من ذلك نراهم قد ادعوا أن النبوة قد تنقطع عن النبي، فيتأسف على ذلك ويشتاق إلى ورودها مرة أخرى بعدما ذهبت عنه[٦].

أما عصمة الأنبياء عند اليهود فيدَّعون أن النبي لم تثبت له العصمة إلا فيما أرسل به فقط، أما غير ذلك من أمور أخرى غير أخلاقية فإنهم يتشككون في عصمة

---

(١) دلالة الحائرين ص٤٠٤.

(٢) المصدر السابق ص٣٩٨.

(٣) دلالة الحائرين - ص٧٢١.

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٦) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث: سعد بن منصور بن كمونة-دار الأنصار- بدون تاريخ - ص٧.

الأنبياء منها[١].

أما في النصرانية فإننا نرى النصارى قد رفعوا قديسيهم عن الأنبياء الذين - كما سنرى - يجوز عليهم الوقوع في كبائر المعاصي بل أكثر من ذلك فإنهم أضافوا العصمة للبابا الكاثوليكي، وللكنيسة؛ ولهذا فإن رجال الدين المسيحي في الغرب كانوا قد طلبوا من الناس الإيمان بأن آراءهم معصومة من الخطأ، وأن الخروج عليها كفر وإلحاد يعاقب صاحبه بالطرد والحرمان من رحمة الرب والكنيسة.

وقد تم تطبيق ذلك بالفعل على العلماء الذين كانوا قد اكتشفوا حقائق علمية تخالف ما ذهبت إليه الكنيسة، مثل "جردانو برونو" الذي أمرت الكنيسة بإحراقه سنة ١٦٠٠م، لأنه أيد نظرية العالم "كوبرنيق" الذي اكتشف من خلالها أن الأرض ليست مركز الكون كما تعتقد الكنيسة، بل إن جاليليو الذي كان قد اخترع التليسكوب، وأثبت بالتجربة العملية أن صحة نظرية "كوبرنيق" نراه قد قدم لمحكمة التفتيش؛ حيث حكم عليه سبعة من الكرادلة بالسجن، كما أمروه بتلاوة مزامير التوبة والندم كل أسبوع لمدة ثلاث سنوات؛ مما دفعه لإعلان توبته وهو راكع على قدميه أمام رئيس المحكمة[٢].

ويرجع (ول ديورانت) السبب من وراء إضافة قساوسة النصارى العصمة لباباواتهم، ولكنيستهم إلى طبيعة الدين المسيحي الذي لا يقدم للناس لا المعرفة، ولا العلم، ولا الحقيقة وإنما أشياء أخرى تعتمد على الذوق

---

(١) المصدر السابق ص٤٧.

(٢) تيارات فكرية معاصرة - قراءة تحليلية نقدية-: د. محمد السيد الجليند - دار الثقافة العربية - ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م - ص١٠٤، ١٠٥.

والعاطفة[١]، فلو أن الكنيسة كانت قد اعترفت بأنها تخطئ تارة وتصيب أخرى لفقد الناس ثقتهم فيها[٢].

وإذا انتقلنا إلى التراث المسيحي في الشرق حيث الأورثوذكسية فإننا نرى أنهم يضيفون العصمة للأنبياء فيما يسمعونه من خطاب، أو يوحى به إليهم فقط، أما غير ذلك من الأعمال فإنهم يخطئون فيها ، ويعلل ذلك الصفي بن العسال[٣].

- أن الشريعة ذكرت للأنبياء والحكماء سقطات كداوود وسليمان "لاحظ أنه يصف ارتكاب الأنبياء للفواحش والقتل والزنا بأنها سقطات" .

- مفهوم العصمة عند ابن العسال الذي يعني: "عدم التمكن من ترك الطاعة، ومن عمل المعصية"[٤].

والذي لا يتمكن من ترك الطاعة ولا من عمل المعصية ما يستحق مدحا ولا ثوابا كما يذهب ابن العسال، ويضرب أمثلة على ذلك بالمحبوس حبسا افتراضيا بأننا لا نمدحه على تركه للسرقة والقتل؛ لأنه ليست له القدرة على فعلهما، وكذلك الصبي، والعنين، والشيخ الهرم، والمخصي فإنهم ليس يستحقون على تركهم للزنا مدحا[٥].

---

(١) قصة الحضارة (عصر الإيمان) : ول ديورانت - م٧ - ج١٦ - ترجمة محمد بدران - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠١ - ص١٢.

(٢) قصة الحضارة (عصر الإيمان) : ول ديورانت - م٧ - ج١٦ - ص١٣.

(٣) الصفي بن العسال يعتبر من أشهر علماء النصارنية في مصر هو وعائلته، وتوجد قوانين تعرف بقوانين ابن العسال ما زالت تعتمد على كثير منها الكنيسة الأورثوذكسية في مصر.

(٤) الرد على كتاب نهج السبيل - ص٦٢ .

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة.

وهكذا اتضح لنا بصورة جلية مفهوم النبوة في الأديان الثلاثة مما يمهد لنا إعطاء صورة مقارنة لبعض الأنبياء (أيوب - موسى - يوسف) بين القرآن والتوراة، ولكن قبل ذلك أرى أنه من المناسب مناقشة ما قد يتوهم أن الأنبياء قد وقعوا فيه من هنات، أو أخطاء.

المبحث الثاني

أخطاء يتوهم أن الأنبياء وقعوا فيها

إن حياة الإنسان العادي كثيرًا ما تتعرض لمواقف مختلفة وعليه أن يحدد رد فعله تجاهها، هذا عن الإنسان الطبيعي فما بالنا بالأنبياء الذين جاءوا ليصححوا حياة البشرية وفقا لمنهج إلهي ارتضاه لعباده، وطلب من الأنبياء شرح هذا المنهج وبيانه وتطبيقه.

أثناء هذا الشرح وذلك التطبيق نرى أنه من الطبيعي أن يصطدم الأنبياء مع السلطة الزمنية وغيرها من الجماعات التي تظن أن منهج السماء سيضر بمصالحها على الأرض. وأمام هذا الصدام ستتعدد مواقف الأنبياء وردود أفعالهم، وطبيعي أن تختلف التفسيرات حول مواقف الأنبياء.

وسنحاول فيما يلي أن نتعرض لمواقف بعض الأنبياء التي كانت موضع خلاف في تفسيرها بين العلماء.

آدم عليه السلام:

من المعروف أن الله تعالى طلب من آدم وحواء ألا يأكلا من شجرة معينة من شجر الجنة، ولكن الشيطان وسوس إليهما أن الله لم يمنعهما من الأكل من الشجرة إلا لسببين: هما أنهما سيصبحان ملكين، وسيخلَّدان في الجنة ﴿**ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين**﴾[1].

وبعد أن أكل آدم وحواء من الشجرة اكتشفا أنهما قد جانبهما الصواب حين

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٠ .

اتبعها الشيطان، وتمثل العقاب الإلهي في عدة أشياء:

١ - نزول آدم وحواء من الجنة إلى الأرض؛ حيث الصراع بين البشر ﴿**اهبطوا بعضكم لبعض عدو**﴾[١].

٢ - أصبح آدم وحواء من الظالمين؛ لأن الله كان قد حذرهما ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**﴾[٢].

٣- أصبح آدم من العصاة الغاوين الذين أزلهم الشيطان لقوله تعالى: ﴿**وعصى آدم ربه فغوى**﴾[٣].

٤- عوقب آدم وحواء بنزع لباسهما ﴿**فأكلا منها فبدت لهما سوءتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**﴾[٤].

ويمكن الرد بشكل إجمالي على هذه السلبيات التي وردت في قصة آدم بأنها كانت قبل بعثته، كما لم تكن لآدم في الجنة أمة[٥]، والدليل أن هذه الذلة كانت قبل النبوة قوله تعالى: ﴿**ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**﴾[٦].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣٦ .

(٢) سورة البقرة، آية: ٣٥ .

(٣) سورة طه، آية: ١٢١ .

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٢ .

(٥) شرح المقاصد: سعد الدين التفتازاني (ت ٧١٢هـ) - تحقيق د. عبد الرحمن عميرة - عالم الكتب - بيروت - ط١ - ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م - ج٥ - ص٥٣ .

(٦) سورة طه، آية: ٢٢ .

– ما حدث من آدم كان على سبيل النسيان والسهو[1] لما كان قد حذره الله منه، وعاهده عليه من أن الشيطان عدو له ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما**﴾[2].

– ليس معنى توبة آدم أنه أذنب، ولكن التوبة قد تقع ممن لم يذنب مطلقًا، بل إنها تحسن ممن لم يقع منه خطأ على سبيل الانقطاع إلى الله، والرجوع إليه طلبًا لثوابه تعالى[3].

– حاول ابن حزم بمنهج التحليل اللغوي بيان مفهوم ألفاظ العصيان والظلم، التي لحقت بآدم بعد مخالفته أمر الله بالأكل من الشجرة؛ حيث إن كل مخالفة لأمر الله تعتبر معصية، ولكن هذه المعصية إما أن تكون عن عمد؛ لأن فاعلها كان قاصدًا للمعصية، أو تكون مخالفة الأمر عن تأويل مقصود به طاعة الله وتحقيق الخير، وهذا يسمى أيضًا معصية رغم أن هذا المتأول لا يدري أنه عاص؛ لأنه ظن أن الأمر الذي طلب منه تنفيذه ليس على سبيل الإيجاب، وإنما على سبيل الندب، أو على سبيل الكراهية في حالة النهي. والعصيان المنسوب لآدم عليه السلام من هذا النوع. ولكن النهي عن الأكل من الشجرة كان على

---

(١) الفرق بين النسيان والسهو يتمثل في أن الأول هو زوال الصورة عن القوة المدركة والحافظة بينما الثاني هو زوال الصورة عن القوة المدركة بعد بقائها في الحافظة، والبعض لا يرى فرقا بين السهو والنسيان. انظر شرح المقاصد – ج٢ – ص٣١٥ .

(٢) سورة طه، آية: ١١٥ .

(٣) عصمة الأنبياء: الفخر الرازي – ضمن سلسلة الثقافة الإسلامية (المجموعة السادسة) – العدد ٤٧ – ١٩٦٤م – ص١٨.

سبيل الوجوب[1]، وهو ما غفل عنه آدم.

وهذا النوع من الغفلة هو الذي يقع من الأنبياء أيضًا؛ حيث إن ابن حزم ينزه الأنبياء عن تعمد المعصية[2]، وموقف الأنبياء في هذه الحالة يشبه العلماء والفقهاء المجتهدين حين يجانبهم الصواب، ومع ذلك فهم يؤجرون؛ لأن غفلتهم عن إصابة حكم الله لم يكن عن تعمد، وإنما عن غفلة معرفته.

ثم ينتقل ابن حزم لمناقشة الظلم الذي كان قد حذر الله تعالى منه آدم وحواء من الوقوع فيه إذا اقتربا من الشجرة، فالظلم في اللغة يعني وضع الشيء في غير موضعه، فإذا وضع الأمر موضع الندب، ووضع النهي في موضع الكراهية فهذا يسمى ظلما؛ لأنه وضع للشيء في غير موضعه، ومثل هذا الظلم هو ظلم بغير قصد، وليس فيه معصية؛ لأن الظلم الذي يقصد به صاحبه المعصية هو الذي يسمى معصية[3].

والسؤال الذي يفرض نفسه:

لماذا اعتبر ابن حزم أن آدم لم يكن ظالما ولا عاصيا عن قصد حين أكل من الشجرة؟

والحق أن آدم كان في نظر ابن حزم بريئا من القصد إلى المعصية؛ لأن إبليس خدعة حين أقسم لآدم أن نهى الله عز وجل عن الأكل من الشجرة ليس تحريما،

(١) الإحكام في أصول الأحكام: ج٨ - ص٥٧٤.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم - تحقيق د. محمد إبراهيم نصر - د. عبد الرحمن محمد عميرة - دار الجيل - بيروت - ج٤ - دون تاريخ - ص١٠.

(٣) الفصل - ج٤ - ص١٠.

وليس هناك عقوبة على آدم أو حواء إذا أكلا من الشجرة بل بالعكس سوف يستحقان الجزاء الموفور والفوز بالخلود؛ لأن الله تعالى نقل عن إبليس قوله لآدم وحواء **﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وقاسمهما إني لكما من الناصحين﴾**(١). أما لماذا صدَّق آدم إبليس اللعين رغم أن الله كان قد حذره منه فذلك لأن آدم نسي عهد الله إليه أن إبليس عدو له **﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما﴾**(٢).

وإذا قبلنا من ابن حزم أن آدم وحواء نسيا تحذير الله لهما من عداوة الشيطان، فكيف نقبل أنهما أطاعا الشيطان حين أخبرهما أن نهي الله لهما عن الأكل من الشجرة؛ لأنهما سيصبحان ملكين ويفوزان بالخلد فهل ظنا أن الله ينهاهما عما فيه خير لهما؟! والأغرب من ذلك أن ابن حزم كان قد رأى أنهما ظنا أن مخالفتهما لله سترضي الله عنهما فهل خان آدم وحواء ذكاؤهما لدرجة أنهما اعتبرا أن نهي الله لهما كان عن شيء يحقق خيرًا لهما؟ ثم ظنهما أن مخالفتهما لأمر الله فيه رضوان الله.

وفيما أرى أن من أفضل التفاسير أن آدم ظن أن ما نُهي عنه كان شجرة معينة بصفتها الشخصية وليس الجنسية **﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾**(٣) فأكل من جنس هذا الشجر دون هذه الشجرة بذاتها أو بشخصها في حين أن المنهى كان جنس هذا الشجر كله بما فيه الشجرة التي أكل منها آدم، وذلك ليتضح مدى ضعف القدرات

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٠، ٢١ .

(٢) سورة طه، آية: ١١٥ .

(٣) سورة البقرة، آية: ٣٥.

البشرية وعظمة المغفرة الإلهية[١].

والجدير بالذكر أن الصوفية حاولوا الدفاع عن آدم بمنهج صوفي متميز يتمثل في أن معصيته كانت معصية صورية، فاعتبروا أن آدم بتوبته إلى الله هو أول فاتح لباب التوبة حتى يعرف بنيه كيف يتصرفون إذا وقعوا في المنهي عنه؛ ولذلك لو لم تقع تلك المعصية على يد آدم لوقعت على يد غيره[٢]، كما لم يكن هبوط آدم وحواء إلى الأرض عقوبة لهما، وإنما ليتحقق الوعد الإلهي السابق بأن يكون آدم في الأرض خليفة، من بعد ما تاب الله عليه بالاعتراف واجتباه [٣].

وبلغة صوفية أراد الله تعالى أن يعرف المؤمنين مقام الاعتراف، وما ينتجه من السعادة، فكان ما وقع من آدم هو على سبيل التعليم لبنيه[٤]، فأكل آدم من الشجرة لسر بينه وبين ربه[٥]، مما دفع الشيخ أبو مدين التلمساني لأن يقول: «لو كنت مكان آدم لأكلت الشجرة كلها»[٦].

---

(١) شرح كتاب الفقه الأكبر: الشرح للإمام علي القاري (ت١٠١٤هـ) وكتاب الفقه الأكبر منسوب للإمام أبي حنيفة النعمان - تحقيق علي محمد دندل - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م - ص١٠١.

(٢) اليواقيت والجواهر: عبد الوهاب الشعراني - ج٢ - دون بيانات - المبحث الحادي والثلاثون في بيان عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من كل حركة أو سكون أو قول أو فعل ينقص مقامهم الأكمل ص٥.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٥) يانع الأزهار - ص٦٥ .

(٦) اليواقيت والجواهر: ص١١.

نوح عليه السلام:

طلب نوح من ربه تعالى أن ينجي ابنه من الغرق في الطوفان؛ لأن الله عز وجل كان قد وعده بنجاه أهله؛ فجاء الرد الإلهي بأن هذا الابن ليس من أهل نوح؛ لأن أعماله غير صالحة؛ ثم أمر الله عز وجل نوحًا ألا يسأله بغير علم حتى لا يصبح من الجاهلين ﴿**فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين**﴾[١].

ولم يكن طلب نوح الذي جاء في غير موضعه خطأ متعمدًا؛ لأنه ظن أن أهله هم أقاربه الذين يربطه بهم صلة دم، وطبيعي أن ابن نوح من أهله كما هو معروف من ظاهر القرابة[٢]؛ بل إن أبناء الرجل هم في الدرجة الأولى من القرابة، ولكن بعد ما بيَّن الله عز وجل لنوح أن المراد بأهله هم أهل دينه [٣] الذين يتبعون ملته فإنه كف عما كان قد سبق أن طلبه.

إبراهيم عليه السلام:

اتهم سيدنا إبراهيم عليه السلام حين طلب من الله عز وجل أن يريه كيفية إحياء الموتى أنه داخله الشك في إحياء الموتى ﴿**وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**﴾[٤].

والحق أن سيدنا إبراهيم لم يداخله الشك مطلقا في قدرة الله على إحياء الموتى، وقد تحقق لإبراهيم اليقين، ولكن اليقين درجات منها درجة يقين السمع، ثم درجة

---

(١) سورة هود، آية: ٤٠ .

(٢) الفصل - ج٤ - ص١٣ .

(٣) الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم - م١ - ج١ - ص٨٤ .

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦٠ .

يقين البصر الذي هو أعلى من يقين السمع[١]، فطلب إبراهيم أن يطمئن بيقين البصر بعد أن تحقق له يقين السمع.

والذي نؤكد عليه أن اليقين كان قد تحقق لإبراهيم، واليقين لا يداخله أدنى شك ولكن اليقين قد يداخله نقص لنقص أدواته فيقين السماع أقل من يقين الرؤية، فنحن نسمع عن الصين، ولكن إذا ذهبنا لزيارة الصين وتحققنا من رؤية الصين لاشك أن معرفتنا ببلاد الصين ستزداد وإحساسنا ويقيننا بها سيعظم. وربما يكون إبراهيم عليه السلام بعد أن تحقق له اليقين العقلي طلب اليقين القلبي أو الوجداني. فهو طلب يقين ملكة أخرى غير العقل.

وقد يكون أيضا ما يريده سيدنا إبراهيم هو اطمئنان قلبه بهداية قومه بعد أن يشاهدوا البعث عمليا بإحياء الطير، ويحتمل أيضا أنه أراد أن يطمئن قلبه بأنه وصل إلى المرتبة التي يصبح فيها خليل الله؛ حيث كان الله تعالى قد أوحى إليه «إني اتخذت عبدًا من عبادي خليلا وعلامته أنه لو طلب مني إحياء الميت فإني أفعله إكراما له»[٢] فأراد أن يتأكد إبراهيم أنه خليل الرحمن الذي علامته أنه لو طلب من الله إحياء الموتى لأجابه الله تعالى.

وقيل أيضًا إن النمرود كان قد اتهم إبراهيم بالكذب لأنه ذكر له أن الله يحيي ويميت، فهدد النمرود إبراهيم وتحداه بأن يطلب من الله أن يحيي ميتًا وإلا قتله،

---

(١) تأويل مختلف الحديث في الرد على أعداء أهل الحديث والجمع بين الأخبار التي ادعا عليها التناقض والاختلاف والجواب عما أورده من الشبه على بعض الأخبار المتشابهة أو المشكلة بادئ الرأي: ابن قتيبة الدينور (ت٢٧٦هـ) - مكتبة المتنبي - القاهرة - بدون تاريخ - ص٦٥.

(٢) عصمة الأنبياء: الرازي - ص٤٤.

فطلب إبراهيم من الله تعالى أن يريه كيفية إحياء الموتى لسببين: لكي يثبت لهذا الكافر أن الإحياء والإماتة بيد الله تعالى فالله موجود.

- ولكي يطمئن قلبه بأن هذا الكافر لن يقتله ويزول عنه الخوف ويأمن أنه لن يقتل[١].

وبعد هذه الإطلالة التي قدمناها لما قد يتوهم أن الأنبياء كانوا قد وقعوا فيه من زلات نحاول أن نعطي صورة مقارنة لبعض الأنبياء (أيوب - موسى - يوسف) بين كل من القرآن الكريم والتوراة؛ ليتضح لنا بأمثلة عملية طبيعة النبوة بين الأديان الثلاثة.

---

(١) عصمة الأنبياء - ص٤٥.

المبحث الثالث

صورة الأنبياء بين القرآن والتوراة

لا ريب أن الفرق كبير، والبون شاسع بين ما يرسمه لنا القرآن من صورة واقعية ومثالية للنبوة تصلح أن تكون أسوة حسنة للإنسانية، وما ورد في التوراة من أوصاف للأنبياء تنال من ساحتهم، وتبرر لغيرهم ارتكاب المعاصي بل الفواحش.

صورة أيوب في القرآن:

فضلاً عن أن أيوب هو نبي موحى إليه من السماء، فإن القرآن قد أضاف إليه أوصافًا كريمة يأتي في مقدمتها صفة الصبر، تلك الصفة التي لم يشتهر أحد كأيوب بمثلها حتى إنها التصقت به، وجرت على ألسنة الناس مجرى المثل فقيل صبر أيوب.

وقد ذكر ابن عباس أنه سمى أيوب؛ لأنه آب (رجع) إلى الله في كل أحواله[1].

وإذا أردنا الإشارة إلى بعض صفات أيوب، كما قررها القرآن فنرى من أهمها:

أيوب هو الجزاء الحسن لجده إبراهيم:

إذا كان الله تعالى يجزي العبد بأفضل مما يفعل، وإذا كان أعلى درجات الإيمان هو الإحسان؛ ومن ثم فإن جزاء هذا الإحسان في الدنيا والآخرة سيكون عظيمًا، فإن أيوب كان جزاء إحسان جده إبراهيم، فالذرية الصالحة التي خصها الله بالنبوة هي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط٥ - ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م - م٦ - ج١١ - ص٢١٤.

خير جزاء للعبد[١]؛ لأن العبد إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث منها الولد الصالح الذي يدعو له، فيقول عز وجل عن إبراهيم: **﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا، ونوحًا هدينا من قبل، ومن ذريته داوود وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وكذلك نجزي المحسنين﴾**[٢].

أيوب مستجاب الدعوة:

كان أيوب يدعو ربه أن يشفيه مما ألم به من مرض عضال حتى امتلأ جسمه دودًا، وتناثر لحمه[٣]، ولم يخيب الله دعاء أيوب بل استجاب له سريعًا؛ لأن الآية قدمت الإجابة بحرف الفاء الذي يدل على السرعة، فبمجرد أن لمس أيوب الماء حتى تناثرت عنه الديدان، ولما غاص في الماء نبت لحمه مرة أخرى، وكان أولاده قد ماتوا إلا امرأته فأحياهم الله عز وجل في أقل من لمح البصر ومثلهم معهم، فيقول تعالى: **﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين، فاستجبنا له، فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾**[٤].

أيوب الصابر الأواب:

أمام جميع هذه الابتلاءات التي كانت قد أصابت أيوب لدرجة أن الديدان قد أكلت من لحمه فإنه لم ييأس، وصبر ودعا الله فاستحق المدح الإلهي لصبره، فقال

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) - دار الفكر - بيروت - ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م - م٥ - ج٧ - ص٣٣٩.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٨٤ .

(٣) جامع البيان: م٦ - ج١١ - ص٢١٤ .

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٣، ٨٤ .

تعالى عن أيوب: ﴿**إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب**﴾[١].

بعد هذه الصورة المشرقة لأيوب كما وردت في القرآن ننقل صورته كما جاءت في التوراة:

صورة أيوب في التوراة:

إن علاقة أيوب بربه كانت متوترة، ويمكننا إجمال مظاهر هذا التوتر فيما يلي:

الله يتحرش بأيوب:

لقد اتهم أيوب ربه بأنه قصد أن يتحرش به، ويجعله مذنبًا، ويوقعه في الخطيئة رغم أنه بريء من كل هذا، ويظهر ذلك في عتاب أيوب العنيف، وتبكيته لربه حين يقول: (لماذا تحجب وجهك وتحسبني عدوا لك)[٢] ثم يعاتب ربه أيضًا (تبحث عن إثمي، وتفتش على خطيتي)[٣].

الله يذل أيوب:

كان أكثر ما يؤثر على نفسية أيوب هو شعوره أن الله يقصد من وراء كل هذا العذاب الذي يعانيه هو إذلاله، وهذا الشعور المر يتضح في وصفه لحالته المتدنية (أزال عني كرامتي ونزع تاج رأسي هدمني من كل جهة فذهبت، وقلع مثل شجرة رجائي، وأضرم عليَّ غضبه، وحسبني كأعدائه...)[٤].

---

(١) سورة ص، آية: ٤٤.

(٢) سفر أيوب - فصل ١٣ - عدد ٢٤ .

(٣) سفر أيوب - فصل ١٠ - عدد ٦ .

(٤) سفر أيوب - فصل ١٩ - عدد ٩ ، ١٠ ، ١١ .

الله يضطهد أيوب ويقهره:

تجلى إذلال أيوب في اضطهاده من قبل ربه، وقهره، كما جعل الناس يبغضونه لدرجة أنهم بسقوا على وجهه (يكرهونني يبتعدون عني، وأمام وجهي لم يمسكوا عن البسق؛ لأنه أطلق العنان وقهرني)(١).

أيوب يستعطف ربه ولا مجيب:

لم يجد أيوب أمام كل هذا القهر والاضطهاد الذي لاقاه من ربه سوى أن يحاول استعطافه، واستمالته لكي يكف عنه، ولكنه لم يلق من الله إلا الجحود والنكران (إليك أصرخ فما تستجيب لي أقوم فما تنتبه إليَّ، تحوَّلت إلى جافٍ من نحوي بقدرة يدك تضطهدني)(٢).

ورغم هذا التجاهل الذي قوبل به أيوب من إلهه فإنه استمر في رجاء الخير، ولكنه لم يلق إلا الشر، وأصبح ذليلاً (حيثما ترجيت الخير جاء الشر، وانتظرت النور فجاء الدجى، أمعائي تغلي ولا تكف، تقدَّمتني أيام المذلة)(٣).

---

(١) سفر أيوب - فصل ٣٠ - عدد ١٠ .

(٢) سفر أيوب - فصل ٣٠ - عدد ٢٠، ٢١ .

(٣) سفر أيوب - فصل ٣٠ - عدد ٢٦، ٢٧.

نتائج تصرفات الله على أيوب:

كان لمواقف الله المتعنتة مع أيوب أسوأ الآثار عليه حتى إنه لعن الدهر، واليوم الذي ولد فيه.

ومن التفسيرات اليهودية لأسباب هذا التعنت الإلهي تجاه أيوب أن جميع ما نزل بأيوب كان يستحقه لذنوب، وآثام كانت قد وقعت منه بدليل ما ورد في وصف أيوب (أليس شرك جسيمًا، وآثامك لا نهاية لها)[١].

والحق أن مثل هذا التشويه المتعمد للأنبياء كان محل نقض من العلماء منذ القدم، وقبل الإسلام كان ثيودور المبسوستيائي[٢] يقول إن سفر أيوب ما هو إلا قصيدة مأخوذة من مصادر وثنية مع شيء من التعديل[٣].

صورة يوسف عليه السلام في القرآن:

من المعروف أن امرأة العزيز كانت قد طلبت من يوسف أن يزني بها، ولكن يوسف استعاذ بالله من أن يفعل الفاحشة، وذكَّرها وذكَّر نفسه بأن زوجها كان قد أكرمه، وأحسن مثواه، ولكنها أصرت على موقفها، وهمت أن تدفعه بكل وسائل الإغراء المختلفة ليواقعها، أما هو فقد تأبى عليها كما جاء في الآيات ﴿**وراودته التي هو في بيتها عن نفسه، وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن**

---

(١) سفر أيوب - فصل ٢٢ - عدد ٥ .

(٢) من أساتذة نسطور يوس الذي ينتسب إليه طائفة النساطرة، ويصفه ول ديورانت بأنه كاد أن يبتدع النقد الأعلى للكتاب المقدس.

(٣) قصة الحضارة: ول ديورانت - مكتبة الأسرة - م٦ - ج١٢ - ترجمة محمد بدران - ٢٠٠١م - ص١٠٠.

مثواي إنه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾(١).

والناظر في الآيات القرآنية لا يجد مشكلة في العلم بأن ما همت به امرأة العزيز كان إغراء المرأة ليوسف، وهي قد اعترفت بذلك **﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾**(٢).

وبعد أن لم تفلح وسائل الإغراء والترغيب لم تجد طريقًا آخر سوى الترهيب خاصة بعد أن كان قد افتضح أمرها، وتحدثت نساء المدينة عنها مستنكرين فعلتها، فأرادت امرأة العزيز أن تثبت لهن أن جمال يوسف كان فوق احتمال النساء، فجعلته يخرج عليهن، بعد أن أعطت كل واحدة منهن سكينا، ودون أن يشعرن قطعن أيديهن، وقلن: **﴿حاش لله ما هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم﴾**(٣).

واعتبرت امرأة العزيز أن هذا أبلغ اعتذار عن ما كانت قد أقدمت عليه بل إنها استنكرت ما كان قد لاموها عليه.

ويبدو أن النساء فيما بينهن يكن أكثر جرأة في التعبير عن خلجات أنفسهن من الرجال خاصة حين تفتضح الأمور؛ حيث توعدت امرأة العزيز يوسف صراحة بإنزال العقاب به إن لم يجب طلبها، وهاك بعضًا مما ورد في القرآن عن هذه الواقعة **﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين، فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن،**

---

(١) سورة يوسف، آية: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة يوسف، آية: ٣٢ .

(٣) سورة يوسف، آية: ٣١.

وأعتدت لهن متكئا، وآتت كل واحدة منهن سكينا، وقالت اخرج عليهن، فلما رأيه أكبرنه، وقطعن أيديهن، وقلن حاش لله ما هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم. قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم، ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين﴾(١).

والذي يهمنا أن يوسف لم يعزم، أو يقصد إلى المعصية بل لوهم بمعصية - وهو ما نبرئ منه يوسف - ثم تراجع عنها فعندنا في الإسلام أن من هم إلى فعل حسنه، ولم يفعلها كتبت له حسنة، وكذلك من هم بفعل سيئة ولم يعملها كتبت له حسنة(٢)، فعلى كلا الحالين فإن يوسف مثاب عند الله.

---

(١) سورة يوسف، آية: ٣٠-٣٢.

(٢) ورد في صحيح مسلم: حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا عبد الوارث عن الجعد أبي عثمان حدثنا أبو رجاء العطاردي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «**ثم إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**».

صحيح مسلم - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ج١ - باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب - حديث رقم ١٣١ - ص١١٨.

وورد في صحيح البخاري: حدثنا أبو معمر عبد الوارث حدثنا جعد أبو عثمان حدثنا أبو رجاء العطاردي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: ثم قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثير، ومن هم بسيئة كتبها الله له سيئة واحدة**». صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي - تحقيق: د. مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير - اليمامة - ببيروت - ط٣ - ج٥ - باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك - حديث رقم ٦١٢٦ - ص٢٣٨٠.

ومن الممكن أن يكون ما ورد في الآيات من أن امرأة العزيز همت بيوسف، وهو هم بها جاء على سبيل المشاكلة؛ مثل قولنا: (هل جزاء سيئة إلا سيئة مثلها). رغم أن الله حين يعاقب العاصي فهذا من الأفعال الطيبة وليس السيئة، وكذلك يوسف - ولله المثل الأعلى - سمى الله ما أراده يوسف من معاقبة امرأة العزيز على إصرارها على أن يفعل الفاحشة معها همًّا، أما البرهان الذي منعها من تحقيق مراده فهو أنه ربما يكون قد هم أن يعاقبها عقابًا شديدًا، وخارجًا عن الحد لولا أن رأى برهان ربه، وهو العدل الذي يمنع من مجاوزة الحد في العقوبة.

من كل ما سبق يتضح لنا أن ما همت به امرأة العزيز كان دعوة صريحة للزنا، أما ما هم به يوسف تجاه هذه الإغراءات الأنثوية فقد يكون الرغبة الفطرية، والشهوة الطبيعية التي تتحرك في نفوس الرجال تجاه النساء، فما بالك لو كانت هذه الأنثى امرأة ملك لا ريب أنها على قدر عال من الجمال، ناهيك عن إمكانياتها المادية التي تساعدها على امتلاك وسائل الرفاهية من عطور غالية، وملابس مزركشة، ولآلئ ثمينة، وكل هذا يحقق لها نضرة نعيم تظهر أكثر ما تظهر في بريق عينيها، فكان من الطبيعي أن تتحرك مشاعر يوسف، وهو في عنفوان شبابه تجاهها، ولو قلنا غير ذلك لسلبنا عنه رجولته، ولاتهمناه بالبرود، ولما كان في امتناعه عن الفاحشة أي ميزة خلقية حباه الله بها، والنتيجة هي أن يوسف كان قد أحسن حين لم يقع في الرذيلة، وأما البرهان الذي ساعده على ذلك هو ما حبى الله به أنبياءه من العفاف، وصيانة النفس عن الأرجاس، ومعرفته تحريم الله تعالى للزنا، وما يقع على الزاني من العقاب في الدنيا والآخرة [١].

(١) عصمة الأنبياء: فخر الدين الرازي - ص٦٠.

والحق أنه تبقى مشكلة في إخوة يوسف لا أجد لها حلاً، وهي أنه ثبتت نبوتهم في القرآن، ومع ذلك فإنهم ارتكبوا الكبيرة بإلقاء أخيهم يوسف في الجب، ثم الكذب على أبيهم بعد ذلك. نعم إنهم فعلوا ذلك قبل النبوة، ولكن ارتكاب الأنبياء للكبائر قبل النبوة ليس مقبولا لدى جمهور العلماء، ولم يجزه إلا بعض المتكلمين، فقد أجازه أكثر الأشاعرة كالبلاقني (ت٤٠٣هـ) والآمدي (ت٦٣١هـ)، وكثير من المعتزلة(١)، والسبب في رفض الجمهور لارتكاب الأنبياء الكبائر قبل النبوة أنه قد ينفر الناس عينهم حال نبوتهم.

وعلى كل الأحوال فإن القصة القرآنية أظهرت الجانب الإنساني لدى إخوة يوسف أكثر من الرواية التوراتية؛ فالقصة القرآنية أظهرت أن إخوة يوسف اتفقوا في النهاية إلى إلقاء أخيهم في الجب؛ ليلتقطه بعض السيارة بعد تراجعهم عن قتله؛ لتحرك ضميرهم الديني الذي منعهم من ذلك، وكان هدفهم بعد ذلك أن يصبحوا قوما صالحين.

أما الرواية التوارتية فأظهرت تبلد المشاعر، وغلبت الروح المادية على إخوة يوسف، فهم بعد أن ألقوه في البئر نراهم كانوا قد جلسوا سويًا؛ لتناول الطعام في تبلد رهيب للمشاعر الإنسانية فضل عن الأخوية، ثم حين رأوا قافلة من الإسماعيلية قادمة غلبت عليهم الروح المادية فأسرعوا ببيع أخيهم حتى يستفيدوا من الموقف إلى أقصى درجة ممكنة خاصة بعد اقتناعهم بنصيحة أخيهم يهوذا من أنه لا فائدة تعود عليهم من قتل يوسف، ولكن ستتحقق الفائدة من وراء بيعه(٢).

---

(١) أبكار الأفكار: الآمدي - ج٤ - ص١٤٣ .

(٢) سفر التكوين فصل ٣٧ - عدد ٢٦، ٢٧ (فقال يهوذا لإخوته ما الفائدة أن نقتل أخانا، ونخفي دمه، تعالوا فنبيعه للإسماعيليين).

وهذا يدفعنا إلى إجراء مقارنة لقصة نبي الله يوسف بين القرآن والتوراه.

قصة يوسف عليه السلام بين القرآن والتوراة:

يستطيع الذي يقارن بين الرواية القرآنية والرواية التوراتية أن يلمح بعضًا من الفروق، التي رصدها ببراعة العلامة مالك بن نبي، فالرواية القرآنية تهتم بوضع القصة في إطار الظاهرة الدينية بينما تضعها الرواية التوراتية في الإطار العائلي.

ومن خلال هذا الاختلاف الواضح تفردت القصة القرآنية بالعديد من الملامح التي أكدت تدخل إرادة الله بصورة أكثر من القصة التوراتية، وأصبح النبي يوسف يتحدث أكثر، ويظهر المناخ الروحي والديني بشكل واضح وجلي في القرآن؛ ومن ثم كانت شخصية يوسف النبي أكثر ظهورًا في القرآن؛ حيث حرص وهو في السجن سواء مع صاحبيه أو السجان أن يؤدي رسالته النبوية إلى كل نفس يرجو توبتها.

كما اهتم القرآن بإظهار العدالة التي تردُّ اعتبار هذا النبي الكريم، وهو الهدف الرئيسي من سرد أحداث القصة؛ وكان ذلك باعتراف امراة العزيز بأنها هي التي راودته عن نفسه، وجاء اعترافها بلغة مفصحة بألم الضمير والشعور بالندم، ثم توج كل ذلك بثقة الملك فيه، وجعله أمينًا على خزائن مصر ﴿**قال إنك لدينا اليوم مكين أمين، قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم**﴾[1].

بينما كان هدف القصة التوراتية هو إبراز الناحية السياسية التي لعبها يوسف[2]، ولم تظهر عليه آثار النبوة فهو يهدد إخوته باتهامهم بالجاسوسية إن لم

---

(١) سورة يوسف، آية: ٥٤، ٥٥ .

(٢) مشكلات الحضارة (الظاهرة القرآنية): مالك بن نبي - ترجمة د. عبد الصبور شاهين - دار الفكر - بيروت - دمشق - ط٤ - ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م - ص٢٥٠: ٢٥٢.

يحضروا له بنيامين أخاه الشقيق، ويؤكد تهديده بالحلف بحياة فرعون، بل إنه يحبس إخوته ثلاثة أيام للضغط عليهم[١].

وعندما حضر بنيامين فإن يوسف لم يكن عادلاً في معاملة إخوته؛ حيث قدم لبنيامين طعامًا يساوي خمسة أضعاف ما قدمه من طعام لإخوته مجتمعين[٢].

أما يوسف في القرآن فقد آتاه الله العلم والحكمة، واجتباه ربه، وكان من الشاكرين المحسنين، ويكفيه أن القرآن ألصق به وصفًا اشتهر به وهو يوسف الصديق.

وبما أن موسى عليه السلام هو أهم شخصيات التوراه حتى أن الديانة اليهودية عرفت بالديانة الموسوية فإننا نحاول أن نعقد مقارنة لأهم ما ورد عن هذا النبي في كل من القرآن والتوراة.

أهم صفات موسى في القرآن:

تحلى نبي الله موسى بصفات كريمة كغيره من الأنبياء، وكان قد كافأه الله على هذه الصفات، ويتضح ذلك فيما يلي:

موسى كليم الله:

من الصفات التي التصقت بموسى عليه السلام، والتي إذا ذكر موسى غالبًا ما تذكر هذه الصفة عند المسلمين، وهي أن موسى كليم الله، فيقال كليم الله موسى، أو موسى كليم الله، أو موسى الكليم... إلخ.

---

(١) سفر التكوين صح ٤٢ - عدد ١٦، ١٧ (أرسلوا منكم واحدا ليجيء بأخيكم وأنتم تحبسون فيمتحن كلامكم عندكم صدق وإلا فوحياة فرعون إنكم لجواسيس فجمعهم إلى حبس ثلاثة أيام).

(٢) سفر التكوين صح ٤٣ - عدد ٣٤ (فكانت حصة بنيامين أكثر من حصصهم جميعهم خمسة أضعاف).

وذلك لأن القرآن الكريم لم يكتف بذكر هذه الصفة الجليلة بل كان يؤكدها **﴿وكلم الله موسى تكليما﴾**[١].

ولا شك أن هذا الاصطفاء الإلهي لموسى كان يستدعي منه أن يشكر نعمة الله عليه: **﴿قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾**[٢].

موسى مستجاب الدعوة:

كان موسى عليه السلام مستجاب الدعاء لدرجة أن بني إسرائيل كانوا يلجأون إليه إذا وقعت بهم مصيبة، لكي يدعو ربه، فيستجيب له في رفع العذاب، الذي حل بهم فيقول عز وجل: **﴿ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون﴾**[٣].

فالآية الكريمة توضح أنه لما حل ببني إسرائيل العذاب سواء أكان الطاعون[٤]، أم كان القمَّل أو الجراد[٥]، الذي كان قد سلطه الله على زرعهم فأتلفه، فإنه حين طلب اليهود من موسى أن يرفع عنهم هذا البلاء، واستجاب الله لموسى، ورغم ذلك فإنه طبقًا لطبيعة اليهود المعروفة نراهم قد نقضوا عهدهم الذي عاهدوا

---

(١) سورة النساء، آية: ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٤٤.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٣٤، ١٣٥ .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - تفسير الآية رقم ١٣٤ من سورة الأعراف م٦ - ص١٥٤.

(٥) المصدر السابق: تفسير الآية ١٣٤ من سورة الأعراف م٦ - ص٥٥.

موسى عليه السلام[١]، واستمروا في كفرهم، وضلالهم.

وكذلك استجاب الله لموسى دعاءه حين كان بنو إسرائيل في أحلك الظروف التي مرت بهم، فبعد أن انقسموا إلى اثنتي عشرة فرقة، وأصابهم الله تعالى بالتيه، وألم بهم العطش الشديد، فطلبوا من موسى أن يسقيهم الماء لكي يرووا ظمأهم، فضرب موسى عليه السلام الحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، وكان لكل سبط من أسباط بني إسرائيل مكانه في الماء الذي يشرب منه بحيث لا يدخل سبط على سبط آخر[٢]، ونزلت عليهم أرزاق وفيرة، وهذا ما توضحه الآية الكريمة ﴿**وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم، وظللنا عليهم الغمام، وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾[٣].

وكذلك بعد أن فقد موسى الأمل في فرعون وأتباعه أن يؤمنوا بالله، ولكن فرعون غره ملكه وأمواله، وأمام هذا الموقف المتجبر من فرعون اضطر موسى أن يدعو على فرعون، وقومه بإهلاك أموالهم[٤]، وأن يحل بهم العذاب الأليم ﴿**وقال موسى ربنا إنك أتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك، ربنا اطمس عليهم أموالهم، واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم**﴾[٥].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تفسير الآية رقم ١٣٥ من سورة الأعراف م٦ – ص٥٦ .

(٢) المصدر السابق: تفسير الآية رقم ١٦٠ من سورة الأعراف م٦ – ص١٢٠ .

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٦٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي تفسير الآية رقم٨٨ من سورة يونس – م٦ – ص٢٣٩.

(٥) سورة يونس، آية: ٨٨ .

وبالفعل قد أجاب الله لموسى دعوته، وأغرق فرعون وجنوده، وهلكت أموالهم وزروعهم[١]، فقال تعالى: **﴿قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾**[٢].

والحق أقول إن المتتبع لموسى عليه السلام في القرآن يجد أن الله لم يخيب له طلبا، فكان دائما يستجيب لدعائه لدرجة أنه حين طلب من الله تعالى أن يشرح صدره، وييسر له أمره، ويحلل له عقد لسانه، ليفهمه قومه، ويساعده بها دون أخيه أجابه الله مباشرة، وقال: **﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾**[٣].

موسى المقرب لله الصابر والداعي إلى الصبر:

استخلص الله عز وجل موسى لنفسه، وقرّبه تعالى إليه، فقال: **﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصًا، وكان رسولاً نبيا، وناديناه من جانب الطور الأيمن، وقرّبناه نجيا﴾**[٤].

أما صفة الصبر، وإن كانت من الصفات المستحسنة فإن اتصاف موسى بها يزيد موسى حسنًا؛ لأسباب عديدة من أهمها ما عرف عن بني إسرائيل من العناد، والمراوغة، فكانوا بحاجة ملحة إلى نوع خاص من الصبر، وكذلك حياة موسى المليئة بالجهاد، والاختبارات تجعله يحتاج إلى مزيد من الصبر، وهو ما تحلى به موسى بل أكثر من ذلك فإنه كان يدعو بني إسرائيل إلى هذه الفضيلة:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي م ٦ - ص٢٣٩.

(٢) سورة يونس، آية: ٨٩ .

(٣) سورة طه، آية: ٣٦ .

(٤) سورة مريم، آية: ٥١، ٥٢ .

﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين﴾(١).

ونكتفي بهذا القدر من صفات موسى عليه السلام الذي حباه الله بالعديد من الآيات والمعجزات، كقلب العصا حية تسعى، وانشقاق البحر بل القائه في اليم، وهو رضيع ولا يصيبه أذى.

هذا عن صفات موسى في القرآن، فماذا عن صفاته في التوراة؟

أهم صفات موسى في التوراة:

تصف التوراه موسى بأنه أعظم أنبياء بني إسرائيل الذي لم يأت نبي مثله، ومع ذلك فقد ألصقت التوراه بموسى صفات يندى لها الجبين نذكر منها:

موسى العنصري القاتل:

إذا كان اليهود يتصفون بالعنصرية فذلك يحط من قدر الشعب اليهودي، ولكن أن يتصف نبي مثل موسى بالعنصرية الشديدة حتى يقتل فلا عار ولا أشنع من ذلك، وهاك النص الذي يذكر أن موسى كان قد رأى (رجلاً مصريًا يضرب رجلا عبرانيا من إخوته، فالتفت إلى هنا وهناك، ورأى أنه ليس أحد فقتل المصري، وطمره في الرمل)(٢).

ونلحظ عنصرية موسى التي تظهر أنه بمجرد أن رأى المعركة بين المصري والعبراني، فإنه لم يحاول أن يتقصى الحقيقة أو يتبين أسباب المشكلة ليحلها، ولكنه التفت بسرعة إلى ما حول مكان المعركة، وحينما لم يجد أحدًا لم يتردد في قتل المصري

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨ .

(٢) سفر الخروج - فصل ٢ - عدد ١١، ١٢ .

بأقصى سرعة؛ لأن الفاء التي ترددت في القصة التوراتية (فالتفت - فقتل) تدل على السرعة والتعقيب.

كما تظهر هذه الحادثة أن موسى كان متدربًا على إخفاء جرائم القتل، فأخفى المصري بسرعة في الرمل؛ ولذلك نراه كان أكثر حنكة من قابيل الذي قتل أخاه هابيل، ولم يعرف كيف يتصرف في الجثة لولا أنه رأى الغراب يقوم بعملية دفن غراب آخر كان قد مات.

موسى يتهم ربه بالإساءة وفعل الشر:

إن سمات شخصية موسى كما تظهرها التوراه تتصف بأنها قلقة، ومندفعة، وسريعة التقلب، كما لا تتحلى بالصبر المطلوب من الأنبياء؛ ولذلك فإنه كان يتهم الله تعالى بأنه منذ أن أرسله لبني إسرائيل لم يتوقف الشعب الإسرائيلي عن الإساءة لموسى نتيجة إساءة الله لبني إسرائيل، مما دفع موسى أن يسأل ربه (لماذا أرسلتني؟)[1] وأكثر من ذلك فإن موسى يتهم ربه بأنه أراد الشر باليهود حين أخرجهم من مصر لدرجة أن المصريين اتهموه بأنه قصد بطريقة خبيثة أن يقتل اليهودي في الجبال، ويفنيهم من على وجه الأرض، ويزداد تطاول موسى فيطلب من الله أن يبدي الندم على فعل الشر ببني إسرائيل، وكان المفاجأة (فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه)[2].

---

(١) سفر الخروج - فصل٥ - عدد ٢٢، ٢٣ (فرجع موسى إلى الرب، وقال يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟! لماذا أرسلتني؟! فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلي هذا الشعب، وأنت لم تخلص شعبك).

(٢) انظر سفر الخروج - فصل ٣٢ - عدد ١٤.

موسى الخائن:

اتهم الله تعالى موسى، وأخاه هارون بالخيانة؛ لأنهما لم يقدساه في وسط بني إسرائيل، وحدد الله لموسى المكان الذي خانه فيه هو وهارون، فقال: (خنتماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة قادِش في برية صين إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل)(١).

وكان جزاء موسى أن حكم الله عليه بالموت دون أن يستطيع دخول أرض كنعان رغم أنها كانت على مرمى بصره.

موسى يقوم بالإبادة الجماعة:

لا ريب أن جذور الإرهاب الصهيوني الذي نشاهده يقوم بأبشع عمليات التطهير العرقي، والإبادة الجماعية للفلسطينيين تجد مبررها في الأصول التوراتية، فهاهو موسى يأمر بعد عودته من الجبل بقتل اليهود الذين عبدوا العجل، فقال لبني لاوي: «هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه أو مرّوا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة، واقتلوا كل واحد أخاه، وكل واحد صاحبه، وكل واحد قريبه، ففعل بني لاوي بحسب قول موسى، ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل»(٢).

---

(١) سفر التثنية - فصل ٣٢ - عدد ٥١ .

(٢) سفر الخروج - فصل ٣٢ - عدد ٢٧، ٢٨ .

وهكذا نرى أنه في ذلك اليوم كان قد تم قتل ثلاثة آلاف رجل اختيروا بطريقة عشوائية لامتصاص غضب موسى الذي كان قد شعر بالمهانة؛ لأن الشعب تنكر له بسرعة غريبة[1].

(١) الأصولية اليهودية: إيمانويل هيمان - ترجمة: سعد الطويل- الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٨م - ص٣٢.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة حول عصمة الأنبياء في الأديان الثلاثة نستطيع أن نقول إن القدر المتفق عليه بين المسلمين بمختلف مذاهبهم هو أن الأنبياء معصومون عن الخطأ أو السهو والنسيان في التبليغ عن الله عز وجل، وهذا هو مقصود الإسلام، وهو أيضا ما يهم المسلم في حياته، بالإضافة إلى أنهم مُثُلٌ عليا يجب أن يقتدى بهم الناس في كل سلوكياتهم أما في اليهودية والنصرانية فإن الأنبياء يرتكبون جميع الفواحش بمختلف أنواعها من سرقة، ونهب، وكذب، وخداع، وزنا... إلخ.

ومثل هذه الصفات لا ريب أنها تشكلت في أمرين مهمين من أمور الدين:

أولهما في الاختيار الإلهي لهم بوصفهم أنبياء. والثاني في أنهم يصلحون أسوة للبشرية أو الإنسانية.

والحق أن مثل هذه الصورة المخزية للأنبياء لدى أهل الكتاب ليست غريبة إذا عرفنا أن الإله نفسه يعتريه النقص، فهو لا يطلب من البشر أن يظنوا أنه عالم بكل شيء، لدرجة أنه يطلب من اليهود أن يرشوا على بيوتهم دماء الكباش حتى يتفادى هلاك أبنائهم من غير علم، أو قصد منه أثناء إهلاكه لأبناء المصريين.

كما أن هذا الإله غير معصوم من الخطأ، فكان أشنع ما وقع فيه من الأخطاء هو خلق الإنسان، حتى أنه يندم – حيث لا ينفع الندم – على خلقه آدم، وكذلك رضائه أن يصبح شاؤل ملكًا، كما أنه يبارك الغدر والخداع الذي كان قد قام به يعقوب عند ما انتقم من لابان، والخلاصة أنه إله شره متعطش للدماء.

فإذا كانت هذه هي صورة الإله عند أهل الكتاب فلا تستغرب عزيزي القارئ من أخلاق الأنبياء كما وردت في العهد القديم، الذي هو كتاب مقدس لدى كل من اليهود والنصارى.

فهرس الموضوعات



مؤلفات الدكتور خالد السيوطي

١- الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب دار قباء.

٢- المهتدون إلى الإسلام من قساوسة النصارى وأحبار اليهود مكتبة وهبة

٣- وحدانية الألوهية بين المعتزلة والأشعرية مكتبة وهبة

٤- الحوار بين الديانات الثلاث في عصر العولمة مكتبة الإيمان بالقاهرة

٥- البهائية وعلاقتها بالصهيونية وقيام دولة إسرائيل مركز الكتاب للنشر.

٦- الشيعة الإسماعيلية (الدعوة - العقيدة - الأثر). مركز الحضارة العربية.

٧- الجدل الإسلامي لأهل الكتاب وأثره الحضاري. مكتبة الإيمان بالقاهرة.

٨- عصمة الأنبياء بين الإسلام واليهودية والنصرانية مركز الكتاب للنشر.

تحت الطبع

٩- تأويل الصفات الإلهية بين السلفية والظاهرية.

١٠- القاديانية.

١١- أسطورة المسيح المنتظر في اليهودية، وأثرها على المقدسات الإسلامية.

رقم الإيـــداع :
٢٠٠٦/٤٠٣٠
الترقيم الدولى :
977 - 294 - 358 - 1

مطـابــع آمـــون

٤ ش الفيروز متفرع من إسماعيل أباظة
لاظوغلى - القاهرة
تليفون : ٧٩٤٤٥١٧ - ٧٩٤٤٣٥٦